لما جمعتهم المهاجرة في سبيل ا سوى بينهم في الموعد وأن يعطى من مات منهم مثل ما يعطي من قتل تفضلا منه وإحسانا . وا عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم " حليم " عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روي أن طوائف من أصحاب رسول ا A ورضي عنهم قالوا : يا نبي ا هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم ا من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك . فأنزل ا هاتين الآيتين .

" ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه ا إن ا لعفو غفور " .

تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث أنه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة . فإن قلت : كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع ؟ قلت : المعاقب مبعوث من جهة ا D على الإخلال بالعقاب والعفو عن الجاني - على طريق التنزيه لا التحريم - ومندوب إليه ومستوجب عند ا المدح إن آثر ما ندب إليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى : " فمن عفا وأصلح فأجره على ا " الشورى : 40 ، " وأن تعفو أقرب للتقوى " البقرة : 237 ، " ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور " الشورى : 43 ، : " إن ا لعفو غفور " أي : لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره قي كرته الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه . ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين . أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده .

" ذلك بأن ا يولج اليل فى النهار ويولج النهار فى اليل وأن ا سميع بصير " .

" ذلك " أي ذلك النصر بسبب أنه قادر . ومن آيات قدرته البالغة أنه " يولج اليل فى النهار ويولج النهار فى اليل " أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على أيدي عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف وأنه " سميع " لما يقولون " بصير " بما يفعلون . فإن قلت : ما معنى إيلاج أحد الملوين في الآخر ؟ قلت : تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس . وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده . وقيل : هو زيادته في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات .

" ذلك بأن ا هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو البطل وأن ا هو العلي الكبير " .

وقرئ : " تدعون " بالتاء والياء . وقرأ اليماني . وأن ما تدعون . بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة إلى " ما " لأنه في معنى الآلهة أي : ذلك الوصف بخلق الليل والنهار

والإحاطة بما يجري فيهما وإدراك كل قول وفعل بسبب أنه ا الحق الثابت إلهيته وأن كل ما يدعى إلها دونه باطل الدعوة وأنه لا شيء أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا .

" ألم تر أن ا أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن ا لطيف خبير له ما فى السموت وما في الأرض وإن ا لهو الغني الحميد " .

قرىء : " مخضرة " أي ذات خضر على مفعلة كمقبلة ومسبعة . فإن قلت : هلا قيل : فأصبحت ؟ ولم صرف إل لفظ المضارع ؟ قلت : لنكتة فيه وهي إفادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول : أنعم علي فلان عام كذا فأروح وأغدوا شاكرا له . ولو قلت : فرحت وغدوت ؛ ولم يقع ذلك الموقع فإن قلت : فما له رفع لم ينصب جوابا للاستفهام ؟ قلت : لو نصب لأعطى ما هو عكس الغرض لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار مثاله أن تقول لصاحبك : ألم تر أني أنعمت عليك فتشكر : إن نصبته فأنت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وإن رفعته فأنت مثبت للشكر . وهذا وأمثاله مما يجب أن يرغب له من اتسم بالعلم في علم الإعراب وتوقير أهله " لطيف " وأصل علمه أو فضله إلى كل شيء " خبير " بمصالح الخلق ومنافعهم .

" ألم تر أن ا سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع كل الأرض إلا بإذنه إن ا بالناس لرءوف رحيم وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسن لكفور "